محاضرات في البلاغة

تمهيد

ظلت البلاغة تشغل حيّزا عظيما في حقول المعرفة الفلسفية و النقدية و الأدبية و اللغوية، على وجه الخصوص،منذ أرسطو، ومرورا بالدراسات العربية في عصورها الذهبية، وصولا إلى التيارات الأدبية الحديثة و المدارس اللغوية الحديثة.

و للبلاغة علاقة وطيدة بالنص الأدبي في شتى تمظهراته و تشكلاته الفنية والأدبية و التحليلية و اللغوية ، وفي هذا تَنْصب البلاغة لنفسها مقاما محمودا في الحقول المعرفية المختلفة.

و من هنا، وجدنا حازم القرطاجني يقول في تبيان مدى شساعة مجال البلاغة : "كيف يظن إنسان أن صناعة البلاغة يتأتى تحصيلها في الزمن القريب، وهي البحر الذي لم يصل أحد إلى نهايته مع استنفاد الأعمار) .")

فعملية الحفر في مجال بنيات النص الأدبي للوقوف على المعنى المخبوء تحت النسيج اللساني والصوتي، ستظل في صيرورة و ديمومة مادام أن هناك نصوصا تُرْصف و خطابات تُقال.

وقد عملت المدارس الأدبية و النقدية المختلفة على تكميل الرؤية، وفتح طرق التوسع في فهم النص وتحليله بإضافة نظريات و آليات نقدية و تقنية لخدمة المغزى العام من وراء التعامل مع النص الأدبي.

و صادف القارئ عبر العصور سيلا عرمرما من المصطلحات النقدية، نتجت عن هذا الصراع بين التيارات المتضاربة و المتناطحة. و من هنا، وقع هذا الخلط والاضطراب في بناء النسق البلاغي للخطاب الأدبي.

و هذا عائد إلى تغير هرم النسق المعرفي ،الذي يُغلِّب منهجا على سائر المناهج المسيرة للحركة العامة للحياة المعرفية و الثقافية...

ماهية البلاغة

البلاغة في هي البلوغ والانتهاء، يقال فلان مراده إذا وصل إليه، وبلغ الركب المدينة إلى انتهى إليها[1].

وبهذا يكون المعنى المراد بها في اللغة هو مبلغ الحد الأسمى من كل شيء يراد الوصول إليه أو توصيله إلى الغير.

أما في الاصطلاح فقد اختلفت التعاريف بين العلماء اختلاف تنوع أو تعدد على حسب ما يراه صاحب التعريف وما يركز عليه، وإن كان الهدف المقصود العام واحد.

فنجد بعضهم ينظر إلى البلاغة من جهة ما يصيّر الكلام بليغا أي بمعنى القواعد التي تجعله كذلك، وهذا ما نلحظه في تعريف الفارسي لما سؤل عنها فأجاب: معرفة الفصل من الوصل.

ويزيد ذلك توضيحا تعريف الشيخ الطاهر بن عاشور بأنها العلم الباحث عن القواعد التي تصير الكلام دالا على جميع المراد وواضح الدلالة عليه[2].

ونجد بعضهم يركز على المغزى والهدف دون أن يشير إلى ما يصل إلى ذلك بحيث يصب اهتمامه على بلوغ المراد إلى نفسية المتلقي، أي المقصود بالقول بمعنى أنه يولي اهتمامه إلى توصيل المعنى لمن يريده دون أن يكثر الكلام الزائد الذي ربما يناقض بعض بعضنا أو يهدمه بعد إقامته، وما

---

(1) أحمد الكاشفي، جواهر البلاغة، تحقيق: وحيد قطب، دار التوفيقية للتراث، القاهرة، 2012، ص. 43.

(2) الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، موجز البلاغة.

يدعو ذلك ما أورده أبو عثمان بن بحر الجاحظ قال سأل المفضل بن محمد الجني أعربيا عن البلاغة فقال: الإيجاز في ؟ عجز والإطناب في غبر خط[3].

ونجد الشيخ محمد الحضر حسن رحمه الله تعالى (1874-1958م) يشرح لنا بلاغة القول بان تكون ألفاظه فصيحة ونظمه محكما ودلالته على المعنى منتظمة وافية[4].

ومعنى فصاحة ألفاظه بأن تكون سهلة في جرياها على اللسان وخفه وقعها على سمع المتلقي مما يجعلها ذات ذق مؤلف.

وأما إحكام النظم بأن تقع كل كلمة موقعا لائقا بها أي على حسب المقام.

وأما بالنسبة للدلالة على المعنى فهذا راجع إلى حال السامع –المتلقي- على حسب ذكائه ودرجة فهمه أي بمعنى مراعاة حاله، فإن كان يلزمه الإطناب نطنب له حتى يصل إليه المعنى وإلا فلا إطناب مع بزوغ الذكاء عنده.

وتنسب البلاغة إلى الكلام والمتكلم دون الكلمة.

---

(3) الشيخ محمد الحضر حسين، بلاغة القرآن، جمع وتحقيق: علي الرضا التونسي، المطبعة التعاونية دمشق، دون طبعة، (1391هـ-1971م)، ص. 7، (انظر مجلة الهداية الإسلامية، ج9، المجلد 2، ربيع الأول 1367هـ.

(4) أبو عثمان بن بحر الجاحظ، البيان والبنين، تحقيق: عبد السلام هارون، ط1، مكتبة ابن سنا للنشر والتوزيع.

نشأة البلاغة وتطورها

كان العرب يتباهون وفصاحتهم منذ جاهليتهم فنجدهم عندما يعرضون لنقد شعر أحدهم يتعرضون له في بلاغة معناه دون أن يكون هناك علم قائم يؤسسه وعلومه التي يعرفها الآن الشعراء والكتاب، والتي تأخرت دراستها عن القرآن والحديث والنحو والصرف والعروض[5].

ومما يؤكد اهتمام العرب الجاهلية بالبلاغة في الأقوال تلقيهم للشعراء بألقاب تدل مدى إحسانهم في الكلام مثل المهلهل والمرفس والمثقب. والمنخل والمنتخل والأخوة والنابغة وغيرها من الألقاب مما جعل من الشعراء، ومن نحا نحو الخطابة إلى تحيير الكلام وإجادته، و مما لاشك فيه أن أسواقهم الكبيرة التي كانت تبنى عملت على نشأة هذا الذوق مثل سوق عكاظ بطور مكة المكرمة ومن يذكر من ؟ النابغة وملاحظاته ما يدل على أنهم كانوا يراجعون بعضهم بعضا وأخذت تنشر هذه العناية بعد ظهور بعض المدارس الأدبية لمدرسة زهير دينية التي كانت تهتم بالشعر خاصة.

ولكن هذه كله لا يعد وأن يكون علماء ولا بوادر لظهور على البلاغة وإنما هو ملاحظات تبرز إحساس العربي بلغته وطاقته في التعبير والبيان[6].

ومع نزول القرآن الكريم بدأ العرب يشعرون أن البيان الذي كانوا عليه قد تغير وينبغي عليهم أن ينهضوا بإحساسهم بهذه اللغة على أسس غير التي كانوا يقدرونها يحرصون عليها، وذلك بإحساسهم

---

(5) الدكتور التنوخي، الجامع في علوم البلاغة (المعاني البيان والبديع)، دار العزة والكرامة للكتاب، وهران، الجزائر، ط1، 2012هـ 1433هـ، ص. 2 بتصرف.

(6) الدكتور محمد ربيع علوم البلاغة العربية، دار الفكر، المملكة الأردنية، عمان، ط1، 2007م/1428هـ، ص. 39 بتصرف.

بأسلوب القرآن الكريم المتميز والمنعدم النظير وأحكامه وشرائعه التي خاطبت أسماعهم وهزت قلوبهم مع أن السور المكية ركزت على التوحيد لترسيخ العقيدة الصحيحة بمخاطبة العواطف فإن السور المدنية خاطبت العقل بوضع القوانين التي لا بد أن يقوم عليها المجتمع الجديد من أجل بناء دولة تكفل العدل للجميع وتحقق الخير والسعادة لكافة أفراد هذا المجتمع المسلم.

ولقد كان تأثير القرآن الكريم عظيما ببلاغته وأسلوبه المعجز على كل من سمعه، فهذا الوليد بن المغيرة عندما سمع الرسول صلى الله عليه وسلم يقرأ آيا من القرآن ؟ تراكيبه ومعانيه فعاد إلى قومه بخبرهم بقوله: "يا قوم والله إني سمعت من محمد شيئا عجبا، والله أن أسفله لمغدق، وإن أعلاه لمثمر وإن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة. وما هو بقول بشر".

وما قصة عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلا دليلا عن تأثير القرآن الكريم حيث ذهب لزيارة أخته فسمعها تقرأ القرآن فنهل مما سمع لأنه لم يسمع هذه البلاغة من قبل فأسرع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعلن إسلامه لأنها خاطبت عقله ووجدانه(*).

وغير هذه الأخبار كثير والتي تدل على أن العرب أخذوا يشعرون أن لغتهم أصابها من التغير الكبير أمام بلاغة هذا الكتاب العظيم، ولا بد لهم من دراسته والعناية به وحرصوا على الاطلاع على ما فيه. ولكن المسلمين انتقلوا في العصر الهجري الأول بالفتوحات الإسلامية وبعد توقفها نوعا ما في القرن الثاني الهجري أخذ الدارسون لهذا الكتاب يولونه عنايتهم لفهم أساليبه ومعانيه، وكانت أولى

(*) المصدر السابق، ص. 40 بتصرف.

محمد ربيع، علوم البلاغة العربية، ص. 40 بتصرف.

الدراسات التي ظهرت الدراسات اللغوية والتشريعية، والتي كانت بمثابة اللبنة الأولى في سبيل ظهور الدرس البلاغي، وفي مقدمة ذلك نشأ النحو باعتباره يقلل مجموع القواعد التي تحدد الأسلوب اللغوي وتركيب العبارات.

وكذا مع باقي الدراسات اللغوية الاخرى التي كان هدفها جميعا العناية بالقرآن الكريم أداة وفهما وذلك يتمرن الألسنة على قراءته والعقول على تدبر معانيه، وقد ذكر ان أبو عبيدة معمر بن المثنى وهو في حضرة الفضل بن الربيع وزير المأمون، وقد استدناه حتى أجلسه إليه على فرشه، ويدخل رجل له هيبته فيجله الفضل إلى جانب أبي عبيدة وهجرته به قالا: هذا أبو عبيدة علامة أهل البصرة أقدمناه لنستفيد من علمه، فيدعو الرجل للفضل وبفرضه لفعله هذا، تم يل؟ إلى أبي عبيدة قائلا: إني كتبت إليك مضتاقا وقد سألت عن مسألة أفتأذن لي أن أعرفك إياها؟ قال أبو عبيدة: مات فقال الرجل: قال الله عز وجل: "طلعها كأنه رؤوس الشياطين"، وإنما يقع الوعد والإيحاء بما عرف مثله، وهذا لم يعرف فقال أبو عبيدة: إنما كلم الله العرب على كلامهم أما سمعت قول امرئ القيس:

أيقتلني ؟في مضاجعي وسنونه زرق كأنياب أغوال

وهم ؟ يعرفوا القول قط، ولكنهم ما كان أمر الغول يهولهم أوعدوا به فاستحسن الفضل ذك واستحسن الرجل[*].

وقال أبو عبيدة: وعزمت على أن أضع كتابا في القرآن الكريم في مثل هذا وأشباهه.

---

[*] المصدر السابق، ص. 41.

محمد ربيع، علوم البلاغة العربية، ص.

فلما رجعت إلى البصرة عملت كتابي الذي أسميته "المجاز" وكان ذلك سنة 188هـ[7]. ثم جاء بعد أبي عبيدة أبو عثمان الجاحظ أحد شيوخ المعتزلة وأئمتهم المتوفي فس 200هـ فألف كتابه "البيان والتبيين" وله فيه مباحث كثيرة عن الفصاحة والبلاغة وجاء بعد الجاحظ الخليفة العباسي الشاعر العالم عبد الله بن المعتز فألف كتابا مستقلا في هذا الموضوعه وأسماه "بالبديع" وقد بحث هذا الكتاب عدة فنون منها: الاستعارة، التجنيس، المطابقة وردّ عن المذهب الكلامي وهو متكلما القرن الثالث الهجري توفي في عام 296هـ.

ثم نهج سبيله قدمه بن جعفر المتوفى سنة 37هـ فقد جمع في كتابه "نقد الشعر" عشرين نوعا بديعيا.

وبعده جاء أبو هلال العسكري المتوفي سنة 395هـ فألف كتاب الصناعتين- الشعر والنثر- فبحث في الفصاحة والبلاغة وفرق بينهما وقال بأن كل قول بليغ فصيح وليس العكس.

ثم جاء ابن رشيق القيرواني فألف كتاب "العمدة في صناعة الشعر ونقده" ومسار في بحثه كابن المعتز وأبي هلال العسكري إلا أنه توسع في أنواع البديع، توفي سنة 452هـ وظلت البلاغة بمفهومها العام رائده الذوق والفن الرفيع عند القدامى –السابقي الذكر- وسارعن نحوه ابن طباطيا في كتاب "عيار الشعر" والآمدي في كتابه "الموازنة بين الغائبين" والقاضي الجرجاني في كتابه "الوساطة بين المتنبي وخصومه" وابن سنان الخفاجي في كتابه "سر الفصاحة وعبد القاهر الجرجاني في كتابه "دلائل

---

[7] سورة الرمز الآية: 9.

الإعجاز" و"أسرار البلاغة" والزمخشري في تفسيره "الكشاف" مع اختلاف قليل بين طرائقهم ومناهجهم(*).

وقد ذكر الدكتور محمد ربيع بأن الدكتور عبده قل؟ أن الزمخشري في كتابه "الكشاف" في حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل "هو أول من فصل فصلا ما بين علمي المعاني والبيان، بل إنه صاحب هذه التسمية في مقدمة كتابه بقوله: "إن أملأ العلوم بما يغمر القرائح، وأنهضها بم يبهر الألباب الفوارح من غرائب نكت يلطف سلكها، ومستودعات أسرار يدق سلكها على التغيير الذي لا يع لتعاطيه إحالة النظر فيه كل ذي علم.

فالفقيه وإن برز عن الأقران في علم الفتاوى والأحكام ...والواعظ إن كان من الحسن البصري اوعظ، والنحوي وإن كان أنحى من سيبويه، واللغوي وإن علل اللغات ؟؟؟، لا يتصدى منهم أحد لسلوك تلك الطرائق ولا يغوص على شيء من تلك الحقائق إلا رجل قد برز في علمين مختصين بالقرآن وهما علم المعاني وعلم البيان، وتمهل في ارتيادها آونة، وتعب في التنقير عنهما أزمنة".

أما بالنسبة للسكاكي فقد ألف كتاب "مفتاح العلوم" وجعله ثلاثة أقسام بسيط علوم البلاغة في القسم الثالث منه، كما ذكر ذلك الدكتور محمد ربيع(8).

ولم يأت بعد السكاكي من أصناف في مباحث البلاغة ولكن كانت كتاباتهم في أغلبها تلخيصا أو شرحا، كما فعل الفخر الرازي في كتابه "نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز" فلخص كتب الجرجاني،

(*) محمد ربيع، علوم البلاغة العربية، ص. 41-42 بالتصرف.

(8) محمد ربيع، علوم البلاغة العربية، ص. 43-44.

ولخص القزويني المتوفي سنة 739هـ "مفتاح العلوم" ثم بدا له أن هذا لم يفي بالغرض فوضع كتابا يشرح فيه التلخيص وأسماه "بالإيضاح شرح تلخيص المفتاح"، ثم تتابعت الكتابات بعد القزويني حول شرح التلخيص وتوضيح الإيضاح تدور حول المفتاح ما زاد البلاغة تعقيدا.

فبعد، كانت البلاغة فنا يرك بالحس الجمالي أو الذوق فأصبحت على أيديهم أحكاما وتعريفات

.

: أقسام البلاغة

1- علم المعاني:

لقد سمى علماء البيان العلم الذي تعرف به أحوال اللفظ العربي التي يطلق بها اقتضاء الحال باسم: علم المعاني.

ماهيته:

لغة: ورد في لسان العرب "معنى الفرس" ونحوه بمعنى معناه: كلاهما تباعد وأمعن الرجل هرب وتباعد، وتمعن: أي تصاغر وتذلل انقيادا، وقال الزمخشري: هو من المعاني المكان، وأمعن لي به: أقر

بعد جحد، والمعنى الجحود دار الكنز للنحو. وقبل المعن: الذل، والمعنى الشيء السهل الهين، ومعان القوم: منزلهم، ويقال الكوفة معان منا أي منزل منا[9].

اصطلاحا: عرف العلماء علم المعاني بأنه أصول وقواعد يعرفها أحوا الكلام العربي يكون بها مطابقا ؟ الحال بحيث يكون وفق الفرض الذي سيق له[10].

فمن هذا التعريف يظهر لنا أن المتكلم يراعي حال المخاطب فإذا كان هذا الأخير يكفيه الإيجاز حتى يصل إليه المقصود –الفكرة- فهنا يكون الإطناب مخلا ببلاغة القول. وإن كان لا بد له من الإطناب والإرسال في القول حتى يفهم المقصود فحينها يكون الإيجاز منافيا للبلاغة، والمفيد في الحالتين يكون بليغا سواء في الإيجاز للذكي أو الإطناب للغبي. ولو عكس لانتفت البلاغة من القول.

– وموضوعه اللفظ العربي من حيث إفادة المعنى الثاني وهو المعنى الذي يريد المتكلم إثباته أو نفسية ولذا قبل مقتضى الحال في التعريف السابق.

ويتناول علم المعاني أبوابا عدة:

1) الخبر:

وهو ما يحتمل الصدق والكذب لذاته، وينقسم إلى جملة فعلية واسمية[11].

وينقسم إلى ثلاثة أنواع:

---

(9) ابن منظور، لسان العرب، مادة "معن".

(10) أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، ص. 54.

(11) محمد التنوخي، الجامع في علوم البلاغة (المعاني، البديع، البيان)، دار العز والكرامة للكتاب، وهران، الجزائر، ط1، 2012م/ 1433هـ، ص. 31، 49.

1- **الخبر الطلبي**: وما يحتاج إلى مؤكد واحد حتى يتثبت السامع من الخبر لأنه قد يكون لديه تردد بين التصديق والتكذيب.

2- الخبر الابتدائي: وفيه يكون السامع خالي البال أي الذهن مما يسمع، فهو لا يحتاج إلى تأكيد.

3- الخبر الإنكاري: وفي استنكار لدى السامع فيحتاج المتكلم إلى أكثر من أداة ليؤكد خبره.

وللتوكيد أدوات عديدة وكذا حروف وأسماء، فمن الأدوات: إن وأن، ونون التوكيد الثقيلة والخفيفة، ألا وحروف القسم بقسمها الياء الزائدة، أنا الشرطية ولام الابتداء.

2) الإنشاء:

وهو كلام لا يحتمل الصدق ولا الكذب لذاته[12]، وينقسم إلى قسمين:

1- الإنشاء الطلبي: هو أن يطلب حصول شيء لم يكن حاصله وقت الطلب، ويراد تنفيذ حين الطلب، واتفق العلماء على أنه خمسة أقسام: الأمر، النهي، الاستفهام، التمييز والنداء.

2- الإنشاء غير الطلبي: وهو ما لا يستدعي مطلوبا ولا جوابا، ولا يسأل به وله صيغ كثيرة: منها صيغتا المد والأم، وصيغ العقود، القسم، وصفة التعجب وأفعال الرجاء.

---

(12) نفسه.

البديع:

لغة: أبدع الشيء وابتدعه اخترعه وابتدع خلان هذه الركبة، و؟ بديع: جديد وتبال أبدعت الركاب إذا كلت، وحقيقته أنها جاءت بأمر حادث بديع، وأبدع بالركاب إذا كلت راحلته[13].

فالبديع المخترع الموجد على غير مثال سابق[14]، فهو اسم مفعول فعيل بمعنى مفعول، وقد يأتي مبالغة من اسم الفاعل، كقوله تعالى: "بَدِيعُ السَمَوتِ والأَرضِ"[15]. أي مبدعها[16].

اصطلاحا: قال العلامة عبد الرحمن بن محمد الأخضري من علماء القرن العاشر في الجوهر المكنون: علم به رجوه تحسين الكلام...يعرف بعد وهي سابق المراح[17].

فكما جاء في الجواهر هو علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بما يضفي على الكلام حسنا وقبولا بعد رعاية المطابقة –أي مطابقة الكلام لمقتضى الحال– مع الخلو عن التعقيد.

وقد قسم اهل الفن البديع إلى قسمين، فالأول ما كان راجع إلى تحسين المعنى أصالة "وهو التحسين المعنوي والآخر" وإن كان لا يخلو من اللفظ، والآخر ما كان راجع إلى تحسين اللفظ وهو التحسين اللفظي.

وقال صاحب الجوهر:

---

(13) الإمام الزمخشري، أساس البلاغة، قدم له وشكله وش عربه وع عليه: د.محمد أحمد قاسم المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 1423هـ-2003م، مادة بدع، ص. 51.

(14) أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، دار التوفيق للتراث، دون طبعة، ص. 376.

(15) البقرة، الآية: 117.

(16) د. محمد التنوخي، الجامع في علوم البلاغة.

(17) العلامة عبد الرحمكن بن محمد الأخضري، الجوهر المكنون.

وجوه حسنه ضربان بحسب الألفاظ والمعاني

فقام الخطيب القزويني المتوفى سنة 739هـ على نهج السكاكي ينقسم البديع إلى ما ذكرناه فالأول:

1- المحسنات المعنوية: وهي التي يكون التحسين بها راجعا إلى المعنى قصدا وإلى اللفظ عرضا ومنه:

أ- المطابقة (أو الطباق والتضاد): فهي مصطلحات ثلاثة لمسمى واحد[18].

والمطابقة هي الجمع في الكلام الواحد بين الشيء الواحد وضده، أو مقابلة ظاهرا كان ذلك الجمع وخفيا. وبالإيجاب في الطرفين أو في أحدهما سواء كان الطرفان حقيقيين أو مجازيين، سواء كانا اسمين أو فعلين أو حرفين أو مختلفين[19].

فمن المطابقة بين اسمين قوله عز وجل "هو الأول والآخر والظاهر والباطن"[20].

ومن المطابقة بين فعلين قوله تعالى "ثم لا يموت فيها ولا يحيا"[21].

وما كانت بين الحرفين قوله تعالى: "لهن مثل الذين عليهن بالمعروف"[22].

وأما بين مختلفين قوله تعالى: "ومن يضلل الله فما له من هاد"[23].

---

(18) الدكتور ربيع، علوم البلاغة العربية، دار الفكر، ط1، 2007- 1468، ص. 161.

(19) نفسه.

(20) سورة الحديد، الآية: 3.

(21) سورة الأعلى، الآية: 13.

(22) سورة البقرة، الآية: 31.

أنواع المطابقة:

1- مطابقة الإيجاب: وهو ما لم يختلف فيه الضدّان إيجابا أو سلبا نحو قوله: "وتحسبهم أيقاظا وهم رقود"[24].

2- مطابقة السلب: وهو ما اختلف فيه الضدان إيجابا وسلبا، أي هو الجمع بين اللفظ ومنفيه بأداة نفي، نحو قوله تعالى: "قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولو الألباب"[25].

ب- التورية: لغة: مصدر ورتب الخبر توربة: إذا سترته، وأظهرت غيره، اصطلاحا هي أن ينكر المتكلم لفظا مفردات له معنيان؛ أحدهما قريب ظاهر غير مزاد، والآخر بعيد خفي هو المراد بقرينته أي أن دلالة اللفظ عليه غير واضحة. من ذلك قول الله تعالى: "وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتهم بالنهار"[26].

ج- المقابلة:

وهو ن يؤتى بلفظين أو أكثر مع ما يقابلها، أو بمعنيين متوافقين أو معان متوافقة، ثم يؤتى بما يقابلها على الترتيب أو بمعنى أكثر من طباق من جملة واحدة[27].

كقوله تعالى: "وإذا مرضت فهو يشفين[28] والذي يميتني ثم يحيين"[29].

---

(23) سورة الرعد، الآية: 33

(24) سورة الكهف، الآية: 18.

(25) سورة الرمز الآية: 9.

(26) .سورة الأنعام الآية 60

(27) سورة الرمز الآية: 9.

وكقوله تعالى: "فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فنيسره ليسرى وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فنيسره للعسرى"[30].

د- تأكيد المدح بما يشبه المدح:

وهو ضربان، والأول أبلغ من الثاني:

- الأول: أن يستثنى من صفة ذم منخبة عن الشيء صفة مدح بتقدير دخولها فيها. كقول النابغة الذبياني:

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهنّ فلول من قراع الكتائب

ومعناه أنه إن كان تكسر سيوفهم من مقاتلة الجيوش ليسا عيبا ولكن الشاعر أوهم أنه يذم القوم، وهو مدح خير مديح.

الثاني: أن يثبت لشيء صفة مدح، ثم يؤتى بعدها بأداة استثناءا أو أداة فرض تليها صفة مدح أخرى.

كقول الشاعر:

ولا عيب في معروفهم غير أنه بيّن عجز الشاكرين عن الشكر

---

[28] سورة الرمز الآية: 9.

[29] محمد التنوخي، الجامع في علوم البلاغة، ص. 212، 214، 215، 216.

[30] الشطر الأيتيين: (80-81).

هـ- تأكيد الذم بما يشبه المدح:

وهو أيضا ضربان:

الأول: أن يستثنى من صفة مدح منفية عن الشيء، صفة ذم كقول الشاعر:

خلا من الفضل غير أني أراه في الحمق لا يجاري

فهذا البيت في الذم والهجاء، ثم جاء بالاستثناء إيهاما بأنه سيمدحه في جانب معين غير أنه زاد.

الثاني: أن يثبت لشيء صفة ذم، ثم يؤتى بعدها بأداة استثناء أو أداة استدراك تليها صفة ذم أخرى كقول بعضهم: فلان حسود إلا أنه نمّام، فصفة الذم حاصلة في قوله وزاد عليها بأنه نمّام[31].

المحاضرة حول الجناس:

حيث أطلق علماء البلاغة على كل لفظتين تشابهتا نطقا واختلفتا معنى بتسميته" **الجناس**"، و الجناس من فنون البديع اللفظية، كما يعتبر نمط من الأنماط الإيقاعية، وعندما نذكر الجناس نذكر عبد الله بن المعتز باعتباره أول من تنبه إلى هذا النوع من البلاغة، مما حدا به على أن يذكره في كتابه " **البديع**" ويجعله الباب الثاني من أبواب البديع الخمسة الكبرى عنده، حيث يقول:« **الباب الثاني من البديع، وهو التجنيس، وهو أن تجيء الكلمة تجانس أخرى في بيت شعر وكلام، ومجانستها لها أن تشبهها في تأليف حروفها على السبيل الذي ألف الأصمعي كتاب الأجناس عليها، وقال الخليل الجنس لكل ضرب من الناس والطير، والعروض، والنحو، فمنه ما تكون الكلمة تجانس أخرى في تأليف**

(31) سورة الليل، الآية: 10.

حروفها ومعناها ويشتق منها أو يكون تجانسها في تأليف الحروف دون المعنى »[32] والباب البديع واسع المعرفة، تناولته أقلام اللغويين القدامي قبل المحدثين.

- **<u>المفهوم الاصطلاحي للجناس:</u>**

أخذت لفظة الجناس عدة وجوه فيقال: **« له التجنيس، والتجانس والمجانسة، ولا يستحسن إلا إذا ساعد اللفظ المعنى ووازى مصنوعه مطبوعه مع مراعاة النظير، وتمكن القرائن فينبغي أن ترسل المعاني على سجيتها لتكتسي من الألفاظ ما يزنها حتى لا يكون التكلف في الجناس مع مراعاة الإلتئام، موقعا صاحبه في قول من قال:**

طبع المجنس فيه نوع قيادة أو ما ترى تأليفه للأحرف

وبملاحظة ما قدمنا يكون فيه استدعاء لميل السامع والإصغاء إليه، لأن النفس تستحسن المكرر مع اختلاف معناه ويأخذها نوع من الإستغراب والجناس أن يتفق اللفظان في النطق ويختلفا في المعنى وهو ينقسم إلى نوعين لفظي و معنوى » [33]

نفهم من ذلك أن كل لفظ وازى مصنوعه مطبوعه فهو ذلك الجناس وكذا الأمر عند ابن الأثير حين قال فيه الجناس هو:«**أن يكون اللفظ واحدا والمعنى مختلفا، وذلك يعني أنَّه هو اللفظ المشترك، وماعداه فليس من التجنيس الحقيقي في شيء »** [34]

يعد الجناس عند ابن الاثير ذلك الاشتراك اللفظي شأنه شأن ما جاء به عبد العزيز بن عتيق «**الجناس هو تشابه اللفظين في النطق واختلافهما في المعنى وهذان اللفظان المتشابهان نطقا المختلفتان معنى يسميان " ركني الجناس" ولا يشترط في الجناس وتشابه جميع الحروف، بل يكفي في التشابه ما تعرف به المجانسة »** [35]

---

[32]– ابن المعتز، البديع،تح . كراتشوفسكي، لندن، ط1، ص25.

[33] – جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، السيد احمد الهاشمي، ضبط و تحقيق وتوثيق، يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، د.ط، ولا نسخة طبع، ص325

[34] – ابن الاثير ، ضياء الدين نصر الله بن محمد، المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان ص196

[35] – في البلاغة العربية " علم البديع" ، عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية ، بيروت ، لبنان ، ط1، ص196.

نجد من القدامي كذلك من تناول الجناس بالتمحيص والملاحظة ابن الجني وإن لم يسميها بالجناس فقد عرفه بقوله: «**أنّ اختلاف الحرف الواحد في اللفظتين أو الحرفين أو الثلاثة يؤدي إلى اختلاف دقيق في المعنى المراد من اللفظ فدقة**

المعنى تتفق مع جرس الحرف المختار» [36] ثم يعقب **بالقول« فكأنَّ هناك اختيارا مقصودا للصوت ليؤدي المعنى المغاير لما يؤديه الصوت الآخر**»[37]

ليس هناك ربط بين الفقرات لا منهجيا و لا في تطور المادة العلمية المطروحة بين الفقرات.

ممن نجدهم أولعوا بهذا اللون من الألوان البديعية كذلك السيوطي فيقول فيه أنه ذلك:« **التشابه بين اللفظتين في اللفظ** » [38] ، ثم يعقب الحديث بتبيان الفائدة المرجوة من الجناس فيقول:« **وفائدة الميل إلى الإصغاء إليه، فإن مناسبة الألفاظ تحدث ميلا وإصغاء إليها ولان اللفظ المشترك إذا حمل على معنى ، ثم جاء والمراد به آخر، كان للنفس تشوق إليه** » [39]

نلاحظ مما سبق أن الجناس عند ابن الاثير وابن المعتز اصطلح على تسميته بالاشتراك اللفظي أما الخليل ابن احمد الفراهيدي فعزاه إلى ذلك التجانس في تليف الحروف وبتالي تاليف المعنى فيعرفه ويقول:« **الجنس لكل ضرب من الناس والطير والعروض والنحو، فمنه ما تكون الكلمة تجانس أخرى في تأليف حروفها ومعناها ويشتق منها مثل قول الشاعر:**

يوم خلجت على الخليج نفوسهم[40] » ويفصل في القول عن الجناس أكثر تكون تجانسها في تأليف الحروف دون المعنى مثل قوله تعالى: " واسلمت مع سليمان لرب العالمين » [41] ثم جاء ابن سنان الخفاجي في القرن الخامس الهجري، فتناول

---

[36]– دراسة لهجية وصوتية عند ابن الجني ، حسام سعيد النعيمي،ص277

2– دراسة لهجية وصوتية عند ابن الجني، حسام سعيد النعيمي، ص277

[38] –جلال الدين السيوطي، الاتقان في علوم القرين ، ج2، المكتبة الثقافية، بيروت ، لبنان ص90

[39] ص 90 .المرجع نفسه،

[40]–كتاب البديع ، الخليل بن احمد الفراهيدي، ص 25

[41] – كتاب البديع ، الخليل ، ص25.

هذا اللون البلاغي في " **سر الفصاحة**" تحت عنوان " **المجانس**" ، وجعله من قبيل التناسب بين الالفاظ، ثم عرّفه بقوله: **« وهو أن يكون بعض الألفاظ مشتقا من بعض أن كان معناهما واحدا، أو بمنزلة المشتق إن كان معناهما مختلفا، أو تتو افق صيغتا اللفظتين مع اختلاف المعنى**[42] »

وقد قسم البلاغيون الجناس إلى نوعين رئيسيين، ثم أدرجوا تحت كل نوع منهما العديد من الاشكال الفرعية، وسنحاول، فيما يأتي، دراسة ذلك، محاولين إلقاء الضوء على الجانب الصوتي في هذا اللون البلاغي:

- **<u>الجانب الصوتي في الجناس:</u>**

للجناس وشائج تربطه بعلم الأصوات وهاته محاولة منا لإسقاط التراث البلاغي القديم، على ما أنتجه الدرس اللغوي الحديث واستنباط ما يمكن استنباطه، مما لا شك فيه أن الجناس يخلق نوع من التوازن اللفظي، مما يجعل الناطق المنتج للسلاسل الكلامية في توازن دائم، أثناء عملية التلفظ، وهاهو أحمد البايبي يوضح أكثر في هاته المسألة حين يقول:« **إنَّ تردد الصوامت، تعني الجناس بينما تردد المصوتات يدل على الترصيع، رغم أن الصوامت والمصوتات هي وحدات من طبيعة واحدة ويجمعهما مصطلح القطعة، فلذلك لا نرى فائدة من إقامة تمييز بينهما** »[43] ويعود بالحديث في سياق بخر ليثبت وجهة نظره حين يقول:« **إنَّ وظيفة الجناس وظيفة صوتية إيقاعية** »[44]

- **<u>أنواع الجناس وسر جماله:</u>**

لقد تبارى بعض البلاغيين وعلماء البديع في تلمس أنواع الجناس وانتهوا في ذلك إلى الغاية القصوى في التقسيم والتفريع، وأقرب التقسيمات إلى حقيقة الموضوع هو أنَّ الجناس ضربان رئيسيان:

1- **الجناس التام:** وهوما سماه القدامى بالجناس : المطابق، والتام، والحقيقي، والكامل، والمستوفي ، المماثل، «**وهو ما اتفق فيه اللفظان في أربعة أمور هي: أنواع الحروف وأعدادها، وهيئتها، الحاصلة من الحركات**

---

[42]–سر الفصاحة ، ص 185.

[43] – أحمد البايبي، القضايا التطريزية في القراءات القرآنية، دراسة لسانية في الصواتة الإيقاعية، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، 2012، ط1، الجزء الثاني، ص 156

[44] – أحمد البايبي، القضايا التطريزية في القراءات القرآنية، دراسة لسانية في الصواتة الإيقاعية، ص 158.

والسكنات، وترتيبها وهذا هو أكمل أنواع الجناس إبداعا وأسماها رتبة. وهذا النوع من الجناس ينقسم بدوره إلى ثلاثة أقسام هي: المماثل، والمستوفَي وجناس التركيب»[45] نقصد هنا بالاتفاق اللفظتان اي تشابه البنيتان في نطق أصواتهما، مع اختلاف في معناهما، وقد اشترط علماء البلاغة، لتمام هذا اللون من الجناس، أن تتفق البنيتان، موضع هذا النوع من الجناس، في أربعة أشياء هي:

- **نوع الأصوات:** وذلك بأن تكون الأصوات المكونة للبنية الأولى، هي نفسها المكونة البنية الأخرى.
- **عدد الأصوات:** وذلك بأن تتفق البنيتان في عدد الأصوات المكونة لهما، بحيث يكون كم الأصوات المؤلف لإحدى البنيتين، مساويا لكم الاصوات المؤلف للبنية الاخرى، ولا يعتدّ في مسألة العدد، بلام التعريف، ولا بالحرف المشدد.
- **هيئة الاصوات:** وذلك بأن تكون الاصوات المكونة للبنيتين، متفقة، أو متماثلة في نوع الصوامت، والحركات.consonne /voyelle
- **ترتيب الحروف:** وذلك بأن يرد الأصوات في البنيتين على شاكلة واحدة، دونما تقديم أو تأخير.

وفيما يلي بيان ذلك مفصلا وموضحا بالأمثلة:

- **<u>الجناس المماثل</u>**: يقول عنه الباقلاني :« **فمنه ما تكون الكلمة تجانس الأخرى في تأليف حروفها و إليه ذهب الخليل** » [46]وهو ما كان ركناه أو بنيتاه أي لفظاه من نوع واحد « **ومن أنواع الكلمة، بمعنى أن يكونا اسمين، أو فعلين، أو حرفين**[47] » ومن أمثلة ذلك أعني الجناس المماثل بين اسمين قوله عزوجل:(**ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون مالبثوا غيرساعة**)[48] الساعة الأولى يقصد بها يوم القيامة، أمّا ساعة الثانية تعني مطلق الوقت، ففي هذه الآية الكريمة اتفقت بنيتا " **ساعة**" و "**ساعة**" في المكونات الصوتية، من حيث النوع والعدد والهيئة و

---

[45]– عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية" علم البديع"، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط1، ص197.

[46] –ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وأدبه و نقده، ج1، ص572، 573.

[47]– عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية، ص197

[48] –سورة الروم الآية 55.

الترتيب، فضلا عن اتحادهما في الفئة الشكلية التي تنتميان إليها، وهي الاسم. ومن أمثلة ذلك أيضا قوله عزوجل:« **يكاد سنا برقه يذهب بالابصار، يقلب الله الليل والنهار، إن في ذلك لعبرة لاولى الأبصار**[49] »

فقد اتفقت، في هذه الاية الكريمة بنيتا" الأبصار" في المكونات الصوتية، من حيث النوع، والعدد والهيئة والترتيب فضلا كذلك عن اتحادهما في الفئة الشكلية، التي تنتميان إليها، وهي الاسم ثم إن البنية أولى تعني جمع بصر، وهو النظر، والبنية الثانية جمع البصر وهو العقل.

وليس ثمة شك، أن القرآن اشتمل على مثل هاتين البنيتين المتجانستين في المكونات الصوتية الحركية منها والصامتية اضافة إلى ذلك أضفى على التركيب الكلي، أو البناء الكلي للنص، قوة في الجرس الموسيقي، ورونقا في الإيقاع الصوتي.

- ومن أمثلة الجناس المماثل بين فعلين قول الشاعر:

« **يا إخوتي مذ بانت النجب ... وجب الفؤاد وكان لا يجب**

فارقتكم وبقيت بعد كمو ... ما هكذا كان الذي يجب

"فيجب" في البيت الأول من الوجيب وهو الإرتجاف والإضطراب، وفي آخر البيت الثاني من الوجوب وهو اللزوم والثبوت [50] »

- ومن أمثلة الجناس المماثل بين الحرفين نحو قولك:« **فلان يعيش بالقلم الحر الجريء فَتُفْتَح له أبواب النجاح به**[51] » فالباء في "بالقلم" هي الداخلة على آلة الفعل فتفيد معنى الاستعانة، أي أنّه يستعين بالقلم على العيش والباء في "به" هي باء السببية أي أنّ الأبواب تفتح له بسبب قلمه الحر الجريء، ففي البائين جناس لتماثلهما لفظا واختلافهما معنى

---

[49] –سورة النور، الآية 43.

[50]– عبد العزيز بن عتيق، في البلاغة العربية، ص199

[51] – عبد العزيز بن عتيق، في البلاغة العربية، ص199

- **الجناس المستوفَي:**« وهو ما كان ركناه، أي لفظاه، من نوعين مختلفين من أنواع الكلمة، بأن يكون أحدهما اسما والآخر فعلا، أو بأن يكون أحدهما حرفا والآخر اسما أو فعلا ومن أمثلة الجناس المستوفي بين الاسم والفعل قول محمد بن كناسة :

وسميته يحي ليحيا ولم يكن ... إلى رد أمر الله فيه سبيل»[52]

- **الجناس المركب:** وينقسم إلى مفروق و مرفو، فالمفروق ما أحد لفظيه مؤلف من جزأين مستقلين كقول احدى الشعراء:

إذا ملك لم يكن **ذاهبه** ... فدعه فدولته **ذاهبة**

- **والمرفو** قسمان كذلك :

1- **ما وفى إحدى كلمتيه ببعض الاخرى مثل قول الحرير:**

ولا تله عن تذكار ذنبك و ابكه ... بدمع يحاكي الوبل حال مصابه

ومثل لعينيك الحمام ووقعه ... وروعة ملقاه و مطعم صابه[53] »

2- ما رفى إحدى كلمتيه بحرف من حروف المعاني أما مصدرا كما في قول الشاعر:

تفرق قلبي في هواه فعنده فريق وعندي شعبة وفريق

اذا ظمئت روحي اقول له اسقني وان لم يكن ماء لديه فريق[54] »

ثانيهما: **الجناس غير التام (الناقص):** وهو أنْ«**يختلف اللفظان في أمر من الأمور التي بنت الجناس التام ويتفقا في سائرها.** »[55]

- يقول عبد القاهر الجرجاني في أسرار البلاغة متحدثا عن جمال الجناس، وسر تأثيره في النفس:" **وعلى الجملة فإنَّك لا تجد تجنيسا مقبولا، ولا سجعا حسنا، حتى يكون المعنى هو الذي طلبه واستدعاه وساق نحوه وحتى تجده لا تبتغي بدلا، ولا تجد عنه طولا، ومن هنا كان أحلى تجنيس تسمعه وأعلاه، وأحقه بالحسن**

---

[52]– عبد العزيز بن عتيق، في البلاغة العربية، ص199

[53]– عبد العزيز بن عتيق، في البلاغة العربية، ص185/184

[54] – عبد العزيز بن عتيق، في البلاغة العربية، ص186/185

[55] – البلاغة والتطبيق، ص451

وأولاه: ما وقع من غير قصد من المتكلم إلى اجتلابه وتأهب لطلبه، أو ما هو لحسن ملاءمته وإنْ كان مطلوبا بهذه المنزلة وفي هذه الصورة » [56]

« ومنه ما تكون الكلمة تجانس الأخرى في تأليف أحرف، أو في الاشتقاق، وأحيانا في المعنى » [57]**،« وتسمى التكرارية ملحوظة في التجنيس، حتى مع اختلاف بعض عناصر المشابهة بين المفردات، والذي يسمى بالتجنيس الناقص »** [58]. وإذا تساوت أنواع الحروف وأعدادها وهيئاتها بين كلمتين، " **ينتج عنهما صورة لفظية لها إيقاعها الخاص وهي الجناس"**[59]

- تقسيم الرماني للجناس،

1- المزاوجة:

2- تجنيس المناسبة:

الدرس البلاغي و العودة من جديد : البلاغة هي فن الخطاب الجيد ،وهي " نظام من القواعد،تقوم مهمته على التوجه في إنتاج النص الأدبي ،و هي نظام يتحقق في النص ،تؤثر على القارئ بإقناعه ، أو تؤثر على المتلقي في عملية الاتصال الأدبي ( )".

---

[56] – أسرارالبلاغة، ص7

[3]– الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيب، إعجاز القرآن، د.ت، ص83

[58] – عبد المطلب، محمد بناء الاسلوب في شعر الحداثة، 1988، ص112

[59] –عبد المطلب، محمد ، البلاغة والاسلوبية، 1984ص218

وفي هذا الإطار و تعميقا له، و في سياق محاولة تعريف البلاغة و تحديد موضوعها ،نستقطع فقرة من حوار دار بين سقراط و جورجياس في إحدى محاورات أفلاطون الشهيرة، له دلالة في صدد ما نحن فيه:

-سقراط: ما موضوع البلاغة؟

-جورجياس: الخطابات

-سقراط: أي خطابات يا جورجياس؟ هل تقصد بالخطابات، ذلك العلاج الذي يكتبه الطبيب ، وينبغي أن يتقيد به المريض ليكون في صحة جيدة.

-جورجياس: لا

-سقراط: إذن فالبلاغة لا تعنى بكل الخطابات.

-جورجياس:طبعا،ليس كل الخطابات. "

ومن هنا ندرك؛ بأن البلاغة تعني الخطاب المؤثر متعة و إفادة و إقناعا ، أي الخطاب البليغ الذي اجتمع فيه عناصر الجمال التعبيري و الإفادة المعرفية و جندت فيه أقوى الحجج لجلب المتلقي و إقناعه.

ولقد كان لعلم البلاغة فضلٌ كبير في بيان أساليب العرب، وتَراكيب لغتهم، وما تَمتاز به من قوَّةٍ وجمال؛ في اللفظ والمعنى، والعاطفة والخَيال؛ ممَّا أعان كثيرًا على فَهْم تُراثنا، وتقدير لُغتنا، وبَيان إعجاز كتابنا الكريم، بل إنَّ دراسة الإعجاز البياني وإدراكه كان الهدف الرئيس الذي من أجْله وُضِعَ علم البلاغة؛ وفي هذا يقول ابن خلدون: "واعلم أنَّ ثمرة هذا الفن، إنما هي فَهْم الإعجاز من القرآن.( )"

فالبلاغة العربيَّة على هذا دينية المنبت، قرآنية المصدر، درجتْ ونَمتْ في رحاب كتاب الله تعالى ، تستهدي آياته، وتتشرَّب معانيه، قبل أنْ تتناولَ الأدب العربي بوجْه عام.

و من خلال تتبعنا الدقيق لمسارات البحث البلاغي عند العرب ،خلُصنا إلى أنّ الملاحظات الأسلوبية هي المصدر الأول للبلاغة العربية، حيث جُمعت تحت اسم البديع ومحاسن الكلام(ابن المعتز)، وأن الطموح إلى صياغة نظرية عامة للفهم والإفهام أو للبيان والتبيين(الجاحظ) هو المصدر الثاني الكبير للبلاغة العربية• و من هنا ، فإن للبلاغة العربية مهدين كبيرين أنتجا مسارين كبيرين: مسار البديع يغذيه الشعر، ومسار البيان تغذيه الخطابة• ونظرا للتداخل الكبير بين الشعر والخطابة في التراث العربي، فقد ظل المساران متداخلين وملتبسين رغم الجهود الكبيرة النيرة التي ساهم بها الفلاسفة وهم يقرؤون بلاغة أرسطو وشعريته( ).

و في هذا يقول حازم القرطاجني: "ولو وجد الحكيم أرسطو في شعر اليونانيين ما يوجد في شعر العرب من كثرة الحكم والأمثال والاستدلالات واختلاف ضروب الإبداع في فنون الكلام ••• لزاد على ما وضع من القوانين الشعرية"( ) و لهذا كله وغيره ،وجدنا أغلب التيارات النقدية الحديثة( )تتجه إلى إمكانية إعادة قراءة البلاغة على ضوء المكتسبات المنهجية الجديدة، ولاسيما مكتسبات اللسانيات.

و لقد بنيتُ هذا البحثَ على إمكان هذه القراءة وجدواها فكان لها مكانها ودورها. ولاشك أن هذا التوجه يجد سندا له في الدراسات الغربية التي انطلقت منذ الستينات تؤرخ للبلاغة الغربية، أو تعيد قراءتها وتفسر فعاليتها مع بارت (تاريخ البلاغة) و جان كوهن و كبدي فاركا وجان مولينو و طامين...

ونظرا أيضا ، لعودة البلاغة إلى الواجهة ،إذ ها هو ذا "رولان بارث" زعيم المجددين نفسه يبحث للبلاغة القديمة عن فستان حديث، وعن شغل في شركات الإشهار (بلاغة الصورة). لقد كتب سنة 1963 قائلا: "ينبغي إعادة التفكير في البلاغة الكلاسيكية بمفاهيم بنيوية، وسيكون، حينئذ، من الممكن وضع بلاغة عامة أو لسانية لدوال التضمين، صالحة للصوت المنطوق، والصورة والإيماء.." ( )و ها هي ذي الصيحات تدعو إلى عودة البلاغة بصفتها "الإمبراطورية" ،التي هيمنت على حقول المعرفة النقدية و الأدبية في الحقب السوالف.

ووجدنا بعض التعريفات اللسانية للغة تكرز على الوظيفة الإبلاغية للغة ،فقد عرف "أندري مارتيني " اللغة بأنها"أداة تبليغ يحصل على مقاييسها تحليل لما يخبره الإنسان على خلاف بين جماعة و أخرى، و ينتهي هذا التحليل إلى وحدات ذات مضمون معنويّ،و صوت ملفوظ..." وهذا التعريف يكتسي أهمية بالغة في الدرس اللساني الحديث.

و نحن مطالبون اليوم ،بصورة ملحة ،بإعادة الشرعية للدرس البلاغي ، انطلاقا من المفهوم النسقي لها، الذي يسعى إلى جعل البلاغة علما أعلى يشمل التخييل والحجاج، ويستوعب المفهومين معا من خلال المنطقة التي يتقاطعان فيها، ويوسّع منطقة التقاطع إلى أقصى حدّ ممكن• فقد حدث خلال التاريخ أن تقلّص البعد الفلسفي التداولي للبلاغة، وتوسّع البعد الأسلوبي حتى صار الموضوع الوحيد لها، فكانت نهضة البلاغة حديثا منصبّة على استرجاع البعد المفقود في تجاذب بين المجال الأدبي(حيث يهيمن التخييل) والمجال الفلسفي المنطقي من جهة، واللساني التداولي من جهة ثانية( )

و قد دعا باحثون سابقون في مقولاتهم إلى(تجديد البلاغة العربية) قصد إحياء قواعدها و ربطها بما استحدث من بحوث في شتى المناهج النقدية التحليلة ، "أمثال الشيخ أمين الخولي و أحمد الشايب و أحمد الزيات و مصطفى صادق الرفاعي ،و كانت محاولاتهم الأولى بداية الربط الحقيقي بين الدرس البلاغي القديم ،و الدرس

الأسلوبي الحديث" ( ). لأن البلاغة منذ قال القائل قولته بل و من قبلها و من بعدها إلى اليوم و الدرس البلاغي يموج بالحركة و التجديد فلا مسائله مستقرة و لا مناهجه تتوقف عن التجديد.

فمن المدارس العربية التي اهتمت بإحياء البلاغة المدرسة المصرية التي بدأت بإعادة "قراءة التراث البلاغي على ضوء المقولات النقدية المعاصرة" ؛وكان من أبرز هذه المحاولات كتاب بلاغة الخطاب و علم النص 1992م لصلاح فضل الذي "يعد من بواكير المصنفات في حقل الدراسات النقدية العربية المعاصرة التي تهتم ببلاغة الحجاج و برائدها بيرلمان. "

و أما المدرسة الأخرى فهي المدرسة المغاربية التي تطور عندها المشروع البلاغي الحديث إلى "مشروع نقدي معرفي هدفه تحديد شروط الحوار و المثاقفة مع الآخر،و رسم الموقع منه و ذلك بعد الوعي اللازم بتراثنا و صياغة المفاهيم المناسبة لأي عملية تواصلية مع الآخر. "

البلاغة و الأسلوبية

لقد لقيت دراسة الأسلوب في مباحث الإعجاز القرآني احتفاء عظيما في الدرس العربي ،منذ القرن الثاني الهجري ،التي استدعت ـ بالضرورة ـ ممن تعرضوا للتفسير أن يتفهموا مدلول لفظة "أسلوب" عند البحث المقارن بين أسلوب القرآن الكريم وغيره من أساليب الكلام العربي، متخذين ذلك وسيلة لإثبات ظاهرة الإعجاز للقرآن الكريم.

فقد كان لعلماء متقدمين كأبي عبيدة (. 210هـ) والأخفش سعيد بن مسعدة (.207هـ) والفراء (. 208 هـ) الجهد الكبير في إثراء مفهوم الأسلوب في الشعر وجلاء أشكاله، رغم تباين الأهداف التي سعوا إليها، بين بلاغة الخطاب القرآني وإعجازه أو دفع طعون الملحدين في القرآن وعربيته.

و بالعودة إلى المعاجم العربية نجد الزبيدي،مثلا، يُعرف الأسلوب بأنه هو "السطر من النخيل و"الطريق" يأخذ فيه، وكل طريق ممتد فهو أسلوب، والأسلوب: الوجه والمذهب، يقال هم في أسلوب سوء، ويجمع على أساليب، وقد سلك أسلوبه: طريقته وكلامه على أساليب حسنة، والأسلوب بالضم "الفن"، يقال أخذ فلان في أساليب من القول أي أفانين منه"( )، ويذهب الفيروز أبادي نفس المذهب إلى أن "الأسلوب الطريق"( )، وينعته الرازي بـ "الفن"( ). أما عند البلاغيين فإنّ الأسلوب في اعتقاد ابن طباطبا ـ كشأن "النساج الحاذق الذي يوفق وشيه بأحسن التوفيق ويسديه وينيره"( ) حتى يجلي نظمه في أحسن حلة، ولا يتأتى له ذلك إلا بالحذق في صناعة الأسلوب والتحكم في آلياته.

و لقد ألفينا النظرة إلى الأسلوب تتعمق في التراث البلاغي مع أطروحات عبد القاهر الجرجاني (. 471هـ)؛ إذ نجده يساوي بين الأسلوب والنظم، بل يجمع بينهما جمعا عبقريا ،لأن الأسلوب عنده لا ينفصل عن رؤيته للنظم، بل نجده يماثل بينهما من حيث إنهما يشكلان تنوعاً لغوياً خاصاً بكل مبدع يصدر عن وعي واختيار وفهم ، ومن ثم يذهب عبد القاهر إلى أن الأسلوب ضرب من النظم وطريقة فيه.

و إذا كان الأسلوب ـ كذلك ـ يجب أن يتوخى فيه المبدع اللفظ لمقتضى التفرد الذاتيّ في انتقاء اللغة عن وعي وذلك بمراعاة حال المخاطب، فإن الجرجاني قد أضاف أصلاً أصيلاً إلى نظرية الأسلوب في البلاغة العربية القديمة، إذ جعل الأسلوب يقوم على الأصول العربية وقواعدها، فالنظم يمتنع معنى إذا لم ينضبط بالنحو، وذلك ما أسس له الجرجاني في دلائل الإعجاز بقوله: "واعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت، فلا تزيغ منها، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك، فلا تخل بشيء منها( )"،

وبذلك جعل عبد القاهر الجرجاني من النحو قاعدة لكل نظم، لا باعتباره أداة أسلوب ينتظم بها التركيب في نسقه الإعرابي العام، وإنما جعل منه ـ كذلك ـ مستفتحاً لما استغلق من المعنى؛ إذ الألفاظ مغلقة على معانيها حتى يكون الإعراب مفتاحاً لها، و"أن الأغراض كامنة فيها حتى يكون هو المستخرج لها، وأنه المعيار الذي لا يتبين نقصان كلام ورجحانه حتى يعرض عليه؛ والمقياس الذي لا يعرف صحيحاً من سقيم حتى يرجع إليه ولا ينكر ذلك إلا من ينكر حسه"( )، فإذا أدرك المبدع ذلك استقام له الأسلوب وأتاه أنى شاء.

و إذا انتقلنا بعد ذلك إلى ابن خلدون نجده يصرح بأن الأسلوب عند أهل الصناعة "عبارة عن المنوال الذي تنسج فيه التراكيب أو القوالب التي يفرغ فيها، ولا يرجع على الكلام باعتبار إفادته كمال المعنى الذي هو وظيفة البلاغة والبيان؛ ولا باعتباره الوزن كما استعمله العرب فيه الذي هو وظيفة العروض. فهذه العلوم الثلاثة خارجة عن هذه الصناعة الشعرية.( )"

ويؤكد ابن خلدون في مقدمته ،أيضا، أن الوظيفة الشعرية أو الصناعة الشعرية "ترجع إلى صورة ذهنية للتراكيب المنتظمة باعتبار انطباقها على تركيب خاص، وتلك الصورة ينتزعها الذهن من أعيان التراكيب وأشخاصها ويصيرها في الخيال كالقالب أو المنوال، ثم ينتقي التراكيب الصحيحة عند العرب باعتبار الإعراب والبناء، فيرصها فيه رصاً كما يفعله البناء في القالب أو النساج في المنوال حتى يتسع القالب بحصول التراكيب الوافية بمقصود الكلام( )"،

إذ يعدُّ مفهوم الأسلوبية ـ كما هو معروف ـ وليد القرن العشرين وقد التصق بالدراسات اللغوية وهو بذلك قد انتقل عن مفهوم "الأسلوب" السابق في النشأة منذ قرون، والذي كان لصيقاً بالدراسات البلاغية، ومن الممكن القول إن الأسلوب مهاد طبيعي للأسلوبية فالأسلوبية تحاول الإجابة عن السؤال: كيف يكتب الكاتب نصاً من خلال اللغة؟ إذ بها ومنها يتأتى للقارئ استحسان النص أو استهجانه، كما يتأتى له، أيضاً، الوقوف على مافي النص من جاذبية فنية تسمو بالنص إلى مصاف الأعمال الفنية الخالدة.

ونجد أن الأسلوبية من المناهج التي تبنت الطرح النسقي انطلاقاً من مؤسسها شارل بالي، "فمنذ سنة 1902 كدنا نجزم مع شارل بالي أن علم الأسلوب قد تأسست قواعده النهائية مثلما أرسى أستاذه ف.دي.سوسير أصول اللسانيات الحديثة"( )، ووضع قواعدها المبدئية، حينها غيرت الدراسات النقدية نمط تعاملها مع الآثار الأدبية، باعتمادها النسق المغلق المتمثل في النص، واستقرائه من خلال لغته الحاملة له، وإبعادها كل ماله صلة بالسياقات وإصدار الأحكام المعيارية.

يمكننا أن نَخْلُص إلى أن الأسلوبية كمنهج نقدي غايته مقاربة النصوص في سياقها اللغوي المتمثل في النص، ومدى تأثيره في القراء، فيجعل من الأسلوب مادة لدراسته، حينها نجد أن هذا الأخير يكون حقلاً خصباً تجد فيه الأسلوبية ضالتها درساً وتطبيقاً .

ومن هنا، فإن الجانب اللغوي هو مجال الباحث الأسلوبي، لأنّ الأسلوبية تعود بالضرورة ،حسب طبيعتها ،إلى "خواص النسيج اللغوي، وتنبثق منه، فإن البحث عن بعض هذه الخواص ينبغي أن يتركز في الوحدات المكونة للنص وكيفية بروزها وعلائقها"( ) أمّا فيما يتصل "بالأثر الجمالي، أو تحليل عمل الشاعر، أو الروائي، أو المسرحي وجدانياً، وجمالياً وموقفاً أو سواه فكل ذلك يكون مهمة الناقد الأدبي بعد ذلك.( )"

إن الذي أكد الصلات التي بين البلاغة، والأسلوبية، رغم استقلال كل منهما بعض عن بعض؛ أو أيضاً ازدهار كلٍ منهما في مجاله الخاص، الآراء والنظريات التي صارت تقدم في الأدب، والنقد الأدبي، والأسلوب، مثل خصوصية الأدب من الوجهة الجمالية، أوحوارية الكلمة، وخاصة في الرواية، أو تحرير المتلقي من آلية المألوف، استناداً إلى تعددية الصور البلاغية، أو الشعرية كوظيفة في الخطاب الأدبي، أو الرسالة الخالقة لأسلوبها، وهكذا دواليك .

ولهذا سنقف على أهم أوجه الاتفاق الكثيرة بين علم الأسلوب وعلم البلاغة وعلى أوجه الاختلاف بينهما، ولعل الوقوف على هذه الفروق يوضح لنا ويجلي مدى العلاقة والاتصال بين الأسلوبية والبلاغة.

فأما أوجه الاتفاق فهي كما يأتي:

1. أن كلا منهما نشأ منبثقا من علم اللغة وارتبط به.

2. أن مجالهما واحد وهو اللغة والأدب.

3. علم الأسلوب استفاد كثيرا من مباحث البلاغة مثل علم المعاني والمجاز والبديع وما يتصل بالموازنات بين الشعراء وأساليبهم الفردية.

4. كما أنهما يلتقيان في أهم مبدأين في الأسلوبية هما: العدول والاختيار.

5. يرى بعض النقاد أن الأسلوبية وريثة البلاغة وهي أصل لها.

6. تلتقي الأسلوبية مع البلاغة في نظرية النظم ، حيث لا فصل بين الشكل والمضمون كما أن النص لا يتجزأ.

7. البلاغة تقوم على مراعاة مقتضى الحال والأسلوبية تعتمد على الموقف وواضح ما بين المصطلحين من تقارب.

أما أوجه الاختلاف فهي على النحو الآتي:

1. علم البلاغة علم لغوي قديم أما علم الأسلوب فحديث.

2. البلاغة تدرس مسائلها بعيدا عن الزمن والبيئة أما الأسلوبية فإنها تدرس مسائلها بطريقتين :

طريقة أفقية . أي علاقات الظواهر بعضها ببعض في زمن واحد.

طريقة رأسية . أي تطور الظاهرة الواحدة على مر العصور.

3. عندما تدرس البلاغة قيمة النص الفنية فإنها تحاول أن تكشف مدى نجاح النص المدروس في تحقيق القيمة المنشودة ، وترمي إلى إيجاد الإبداع بوصاياها التقييمية.

4. أما الأسلوبية فإنها تعلل الظاهرة الإبداعية بعد إثبات وجودها وإبراز خواص النص المميزة له.

5. من حيث المادة المدروسة فالبلاغة توقفت عند الجملتين كحد أقصى في دراستها للنصوص ، كما أنها تنتقي الشواهد الجيدة وتجزئها.

6. أما الأسلوبية فتنظر إلى الوحدة الجزئية مرتبطة بالنص الكلي وتحلل النص كاملا.

7. البلاغة غايتها تعليمية ترتكز على التقويم , أما الأسلوبية فغايتها التشخيص والوصف للظواهر الفنية.

وبعد هذه المقارنة بين البلاغة والأسلوبية يتضح لنا أنه لا تعارض بينهما وأن الأسلوبية استفادت من البلاغة كثيرا بل إن الأسلوبية لم تنهض إلا على أكتاف البلاغة ولكنها تقدمت عليها في مجال علم اللغة الحديث ولو أن هذا التقدم لا يصعب على البلاغة أن تحوزه ،كما سنبين في المبحث اللاحق،إذا ما استفادت من مبادئ وإجراءات لسانيات النص وعلم الأسلوب والمناهج الألسنية بعامة.

بين البلاغة ولسانيات النص: في الحديث عن البلاغة و لسانيات النص لا بد من الإشارة إلى التقارب المنهجي بينهما في النظرة إلى النصوص بصفة عامة، فبينهما نقاط تلاق كثيرة ،و في هذا يقول أ.د/سعيد حسن بحيرى: "لا يخفى أن لمناقشتنا لحدود البلاغة علاقتها بعلم لغة النص دلالة واضحة على الصلة بينهما إلى حد الذي جعل بعض الباحثين يعدها السابقة التاريخية لعلم النص"( ) ، و هذا يوضح بجلاء العلاقة بيهما في التعامل مع النص الأدبي في شتى تمظهراته ،و هذا ما يدفعنا ،على حسب قول فانديك، إلى القول بأن "البلاغة هي السابقة التاريخية لعلم النص إذا نحن أخذنا في الاعتبار توجُّهها العام، المتمثل في وصف النصوص وتحديد و ظائفها المتعددة( )".

و ينبغي أن يشار هنا إلى أن كثيرًا من الأفكار التي تبنتها لسانيات النص و النظرات النصية بزغت "من بحوث في البلاغة القديمة؛إذ إن البحث في ممارسة الخطاب(الكلام) في البلاغة القديمة يضم عددا من النظرات و القواعد الخاصة بتنظيم نصوص محددة-إذ إنه قد استخدمت في المباحث المتعلقة بترتيب الأفكار و زخرفته ،قواعد بناء محددة للنصوص لأهداف بلاغية محددة( )".

و يضاف إلى ما سبق أن البلاغة تتوجه "إلى المستمع أو القارئ لتؤثر فيه، وتلك العلاقة ذات خصوصية في البحث اللغوي النصي."( ) و ما تزال قواعد بناء النص البلاغية ضرورية ، ولا يمكن الاستغناء عنها في دراسة النص ، وبخاصة دراسة النص الشعري بفهومه الواسع.

وعلى ما سبق، فإن العلاقة بين البلاغة وعلم النص هي علاقة تفاعلية مستمرة لأنّ "علم النص يمكن أن يقدم إطارا عاما للدراسة المجددة لبعض الجوانب البلاغية في الاتصال." وذلك لأن البلاغة التي كانت فقدت أهميتها "في فترات سابقة تعد الآن السابق التاريخي لعلم النص( )"

علم البلاغة نموذج جديد لقراءة النص الأدبي

في البداية أردنا أن نقرر بأنّ "معرفة طرق التناسب بين المسموعات و المفهومات لا يوصل إليها بشيء من علوم اللسان إلا بالعلم الكلي في ذلك و هو علم البلاغة " ،فلا عجب أنه منذ النصف الثاني من القرن العشرين ظهرت في الغرب أصوات تنبه إلى خطورة اختزال امبراطورية البلاغة في المستوى الأسلوبي أو المحسنات، ونجد جيرار

جنيت" G. Genette ألف مقالا أسماه البلاغة المختزلة (La Rhétorique restreinte) حظي بمكانة خاصة في التنظير البلاغي الحديث محاولا فيه إبراز الانزياح الذي حدث في تاريخ البلاغة عندما تم النظر إليها من خلال جزء من أجزائها هو الأسلوب" ( ) ،كما دعا بيرلمانCh. Perelman إلى ضرورة العودة إلى المعنى الشامل للبلاغة الذي يضم أبعادا حجاجية جدلية وفلسفية منطقية. وذلك في محاولة منه "لإحياء البلاغة الميتة التي فقدت على مدى قرون أجزاءهامة من امبراطوريتها الواسعة.( ) "

وعندما ننتقل إلى التنظير العربي البلاغي الحديث ،نفاجأ بقلة الدراسات التي اهتمت بتدقيق المصطلح البلاغي، بل إن إلقاء نظرة على المقررات الجامعية والمدرسية تثبت مدى استمرارية السطو على الميراث البلاغي من خلال علوم تتخذ مسميات متعددة : فهي سيميولوجيا، وأسلوبية، ولسانيات، وهي منطق وجدل...إلخ. وكان الدكتور محمد العمري – فيما أعلم – من أوائل من نبه إلى خطأ المفهوم الشائع للبلاغة في الساحة الأدبية والتعليمية العربية، وهو خطأ ناجم عن اعتماد شروح التلخيص التي انصبت على عمل السكاكي"مفتاح العلوم ."

فقد شاع، في الأوساط التعليمية العربية، أن البلاغة تنحصر في ثلاثة علوم هي : البيان والمعاني والبديع، وهوالمعنى التي تقدمه الكتب التعليمية المشهورة مثل : "علوم البلاغة" لمصطفى المراغي. وغيره من الكتب التي حذت حذوه النعل بالنعل ( ). وقد استطاع الدكتورمحمد العمري في مجمل ما كتب حول البلاغة تصحيح المسار البلاغي العربي من خلال وضع الأنساق العربية الكبرى التي لا يشكل الأسلوب رافدها الوحيد،

بل هناك روافد أخرى تداولية، وحجاجية إقناعية...مما يعني أن البلاغة العربيةتختزن مفهوما مغايرا للذي كرسته عصور الانحطاط عنها.

كما شكلت كتابات الدكتور محمد الولي نقطة هامة لتدقيق المصطلح البلاغي الذي ينصرف تارة إلى بلاغة المحسنات، وتارة إلى بلاغة الحجاج (بلاغة الإمتاع وبلاغة الإقناع). حيث وقف عند مختلف العناصر التي تشكل قوام البلاغة عند أرسطو، والتي لا تعتبر المحسنات إلا جزءا من أجزائه .( )

ولعل هذا ما دفع – حسب الدكتور محمد الولي – الشعريات الحديثة إلى العودة إلى البلاغة القديمة بعدما لاحظت عدم كفاية المستويات الشكلية والأسلوبية في الإحاطة بمكونات النص الأدبي : "ولكي تنجز الشعرية هذا المشروع عليها أن تطرح إشكالاتها الخاصة المختلفة عن إشكالات البلاغة الإقناعية، وليست( )

الثورات المعاصرة المتمثلة في نظريات "جمالية التلقي" و "تاريخ الأدب" و"تداولية النص الأدبي" إلخ... إلا بدايات لإعادة النظر إلى أسس الأدب التي اختزلت لعهود في نظرية المحسنات( )."

إن هذه المجهودات المبذولة اليوم في التنظير البلاغي العربي ( )يمكن أن تفتح بابا جديدا لإعادة قراءة البلاغةالعربية القديمة، والكشف عن مكوناتها الحجاجية والإقناعية والتداولية، خاصة إذا نظرنا إلى الفكر العربي في شموليته حيث يمكن أن نجد تقاطعات عديدة بين الدرس البلاغي وبين علوم أخرى كالنحو وعلم والكلام والتفسير والمنطق.

و على هذا ،و تأسيسا على ما سبق؛ فإنّ البلاغة "تهتم بالشفرة العامة ،لا بالأساليب الفردية،فإن البلاغة بقوانينها –غير المعيارية–هي التي تتولى–إذن– حصر الأشكال المحددوة وربطها بالمتغيرات الماثلة في الواقع الإبداعي ، ووصف القيمة النسبية لكل شكل منها ، إذ بمجرد أن تولد الكلمة حية في سياقها المتحرك من رحم الإبداع الشخصي ، و يتاح لها أن تدخل في نطاق التقاليد المستقرة ،فإن و ظيفة الشكل البلاغي حينئذ تتمثل في إضافة صيغة الشعرية على الخطاب الذي يحتويها ,فبلاغة الخطاب تطمح إلى إقامة قوانين الدلالة الأدبية بكل ثرائها و إيحاءاتها ، أو تهدف إلى احتواء ما أطلق عليه "بارت" علامات الأدب "

و زيادة على ما سبق، فإن البلاغة الجديدة ترى" أن عملية التشكيل تمتد بجناحيها لتشمل القول أو النص بأكمله، وتجعل هذه المقولة من الفصل بينها وبين علم لغة النص أمرا مستحيلا ".

و لما كانت البلاغة نظاما من التعليمات "تستخدم في إنتاج النص ،فإن معارفها مهمة في إنتاج كثير من الحالات ،و إن كان يتم عرض إمكانات الانتفاع بالأجناس البلاغية كلها في تحليل النص"( ) وعلى هذا ،فإنّ النص يبقى مفتوحا و "تظل قراءتنا و مشروعنا منفتحا على السؤال و البحث و الاستفادة من الإنجازات الهامة في مجال علوم الأدب و العلوم اللسانية و الاجتماعية ،بما يسهم في إنجاز قراءة أكثر إنتاجية و أكثر انفتاحا و قبولا للتطوير و الإغناء:إغناء المنهج الذي به نحلل،و النص الذي نقرأ،و لا يمكن أن يتأتى هذا إلا عبر التفاعل الإيجابي القائم على الحوار الهادف و البناء"( ) بين القديم والجديد مما يجعلهما ينصهران غي بوتقة واحدة مشعة بالأفكار الأصيلة والمتجددة،لأنه رغم تطور المناهج الحديثة انطلاقا من دي سوسير إلى فانديك و ر.بارت وغيرهما .فإنه لا ينبغي لنا ننكر الزخم الكبير من المعارف و القوانين التي قدمتها لنا البلاغة القديمة فلهذا ينبغي أن نوضح أن "البلاغة القديمة قد قدمت نموذجا معينا،كان مُعينا للأراء و الاقتراحات التي طُرحت فيما بعد ، وبخاصة من خلال النظريات الحديثة( )".

و من المنظور السابق ، نصل إلى أن البلاغة القديمة "تضم الأفكار الجوهرية التي عُنيت الدراسات النصية بالتوسع فيها، ومن ثم توجد جوانب اتفاق عدة بينها إلى حد يصعُب معه إغفال الأثر،حتى حين تكون درجة خفائه مرتفعة."( )و من هنا فإن البلاغة العامة،الجامعة بين البلاغة القديمة و الجديدة، تطرح نفسها كبديل في قراءة

النص الأدبي وفق المعطيات التي رسمها المنظرون القدماء و المحدثون وأنا في هذا أطرح نوعا "من المثاقفة يقوم على الاستعانة بالتراث في فهم المسائل اللغوية الحديثة ، خاصة تلك العلوم التي لها جذور تراثية مثل علم النص الذي قلنا إن البلاغة تمثل السابق التاريخي له( )".

و زبدة القول ، فإننا مهما حاولنا أن "نخرج بمعلومات وافرة من علم تحليل الخطاب المعاصر فلن يكون هذا المطلب يسيرا إلا إذا عدنا إلى البلاغة العربية."( )ا الأصيلة ،لأنه انطلاقا من هذه المعطيات فقد" أثبتت اللغة العربية قدرتها على استيعاب الرموز و الدلالات الدينية و الاجتماعية و الروحية و الإنسانية، بوصفها لغة حية لها تقنياتها الخاصة بها ، ومقوماتها و قوانينهات الذاتية التي بها تحفظ سلامتها و ديمومة فاعليتها.أسست هذه المقومات والخصائص مبادئ أولية لعلم النقد العربي البلاغي،فأرسى البلاغيون القدامى قواعد النقد البلاغي ، وكانت أبحاثهم منطلقا لدراسات نقدية لاحقة"( )،هذه التي أردنا أن نطرحها في هذه الورقة ،و إن تسنى لنا المجال ،في بحث لاحق، سنقوم بجملة من التطبيقات على نصوص قرآنية كريمة ،لنقف على أهم معالم هذه البلاغة العامة الجامعة بين القديم والجديد.

تركيب و استنتاج:

1. مما سبق ،صار لزاما توسيع المفاهيم البلاغية القديمة ودفعها تصنيفا، وتفسيرا، إلى مستوى الأصول التي يتولد عنها غيرها؛ ضمن نسق جديد، كما فُعِل مع الاستعارة والمجاز المرسل وصور التكرار والتوازي ضمن ما أسموه : نحو الشعر...

2. ضرورة زرع التقارب المفهوماتي في حقول تحليل الخطاب بين النقد القديم و الجديد.

3. نستطيع تفسير طبيعة الصور البلاغية وكيفية اشتغالها بإدخالها في نسق عام واستخراج البنية المشتركة بينها.

4. يمكن الربط بين البلاغة و علم النص(البلاغة الجديدة) في نسق معرفي واحد و شامل لتسهيل عملية التواصل بين العلمين.علنا نبلغ إلى اكتشاف معان أُخر داخل النص الأدبي في شتى تمظهراته الإبداعية و التحليلية.و حتى نظل في دائرة الاتصال الوثيق بلغتنا العربية و قيمها التعبيرية و البيانية.

5. و استنادا على ما سبق ،فإن الضرورة المعرفية تلح على وجود علم للنص لدراسة النصوص بصفة عامة، و إثبات أن كل نص هو بشكل ما "بلاغة" أي أنه يمثل وظيفة تأثيرية، وبهذا فالبلاغة تمثل منتهى للفهم النصي مرجعه التأثير.

6. البلاغة الجديدة أوسع من لسانيات النص في كونها تهتم ببلاغة الكلمة و بلاغة الجملة و صولا إلى بلاغة النص.

محاضرة حول دور عبد القاهر في نمو الدرس البلاغي من خلال كتابيه (أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز):

عمد عبد القاهر الجرجاني،وهو "واضع علم البلاغة"[60]، إلى تبيان سر تفوق كلام على كلام ، و قول على قول في كتابيه على التوالي حيث عكف في أسرار البلاغة على تبيان أسرار البيان العربي ، ممهدا لذلك بتوضيح دور الكلام الذي ميّز الله به الإنسان عن سائر المخلوقات .

وفي ذلك أعطى أهمية لوظيفة الكلام عند الإنسان في شتى مجالات حياته، مركزا على دوره في صقل معارف الإنسان وتقلبه في ميادين العلم لأن الكلام هو الذي " يعطي العلوم منازلها، يبين مراتبها، ويكشف صورها، ويجني صنوف ثمرها، ويبرز مكنون ضمائرها، وبه أبان الله تعالى الإنسان على سائر الحيون"[61] ميزه عن سائر مخلوقاته لأن اللغة هي وعاء الأمة.

لذلك إذا أصيب الإنسان بعي في بيانه و عطب في لسانه ولم يستطع أن يبين عن مكنونات نفسه "لوقع الحي الحساس في مرتبة الجماد، ولكان الإدراك كالذي ينافيه من الأضداد، و لبقيت القلوب مقفلة على ودائعها"[62] ، ومن هذا المنطلق ميّز الله الإنسان حيث قال تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ١عَلَّمَ الْقُرْآنَ٢خَلَقَ الْإِنْسَانَ٣عَلَّمَهُ الْبَيَانَ٤﴾ [الرحمن: 1-4] حيث ربط، سبحانه، تعليم القرآن بخلق الإنسان ،و تعليمه البيان دلالة واضحة على أن بالبيان نستطيع فهم القرآن ،و كأن الله خلقنا من أجل ذلك.

وعليه ففهم اللسان العربي طريق مؤدي إلى فهم القرآن لأنه نزل بلسان عربي مبين قال الله تعالى:﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا١١٣﴾ [طه: 113] بل هو يوضح توضيحا لا يدع مجالا للريب ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَمَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ٣٧﴾ [الرعد: 37].

تدلنا كل هذه الآيات، وغيرها، على ضرورة معرفة أسرار البلاغة العربية لأنه نزل على طرائق العرب في البيان وهذا ما يشفع لعبد القاهر سر تأليف كتابه أسرار البلاغة وتبيان خصائص اللغة العربية وأسرارها. وإذ ركّز أيما

---

[60] – عبد القاهر الجرجاني، اسرار البلاغة في علم البيان، تح: محمد رشيد رضا، الطبعة الأولى2002، دار المعرفة، بيروت لبنان. ص 06.

[61] – عبد القاهر الجرجاني، اسرار البلاغة في علم البيان، ص 13.

[62] -- نفس المصدر، ص 13.

تركيز على تبيان سر البلاغة العربية الكامن في " أمر يقع من المرء في فؤاده، وفضل يقتدحه العقل من زناده"[63] هذا هو سر الحقيقي للبلاغة العربية.

وأرسى قاعدة في ذلك على أن القائد للبيان في البلاغة العربية هي المعاني وليست الألفاظ، كما شاع عند الناس وخاصة أهل بعض العلم، لأنك " لا تجد تجنيسا مقبولا، ولا سجعا حسنا، حتى يكون المعنى هو الذي طلبه واستدعاه وساق نحوه وحتى تجده لا تبتغي به بديلا، ولا تجد عنه حولا"[64] لأننا إذا رمنا البلاغة في اللفظ حدنا عن الطريق وسلكنا مسلكا يبعدنا عن الهدف الذي نرجوه.

ولهذا فإن الطريق الأسلم في البيان العربي، اللسان الإنساني بصفة عامة، هو أن تجعل الإفصاح عن مكنونات نفسك تقوده المعاني فإنك " لن تجد أيمن طائرا، وأحسن أولا و آخرا، و أهدى إلى الإحسان، وأجلب للاستحسان، من أن ترسل المعاني على سجيتها، و تدعها تطلب لأنفسها الألفاظ"[65] فهي تتخير لباسها التي تظهر به ووشيها الذي تتزين به.

فليس للتكلف في البلاغة وظيفة إلا أن يجعل الكلام ممجوجا، والبيان ممقوتا فكم من شاعر أسقطه التكلف في الهاوية، وكم خطيب وقع في الغاوية لهذا ركَّز عبد القاهر في كتابيه على ضرورة تصحيح المفاهيم عن سر البلاغة المتمثل في الكلام المقبول والمؤثر هو الذي تقوده المعاني و ما على المتكلم إلا أن يجد المعاني، و يتركها تختار ألفاظها التي تناسبها. ولهذا وجدناه في كتابه يركز على ضرورة التدقيق في سر البلاغة.

ومن هنا بنى كتابه على الخطة خادمة لفكرته التي أشرنا إليها فيما سبق:

كتاب أسرار البلاغة[66]

---

[63] -- عبد القاهر الجرجاني، اسرار البلاغة في علم البيان، تح: محمد رشيد رضا، الطبعة الأولى2002، دار المعرفة، بيروت لبنان. ص 15.

[64] -- عبد القاهر الجرجاني، اسرار البلاغة في علم البيان، ص 18.

[65] -- عبد القاهر الجرجاني، اسرار البلاغة في علم البيان، ص 21.

[66] -عبد القاهر الجرجاني، اسرار البلاغة في علم البيان، تح: محمد رشيد رضا، الطبعة الأولى2002، دار المعرفة، بيروت لبنان.

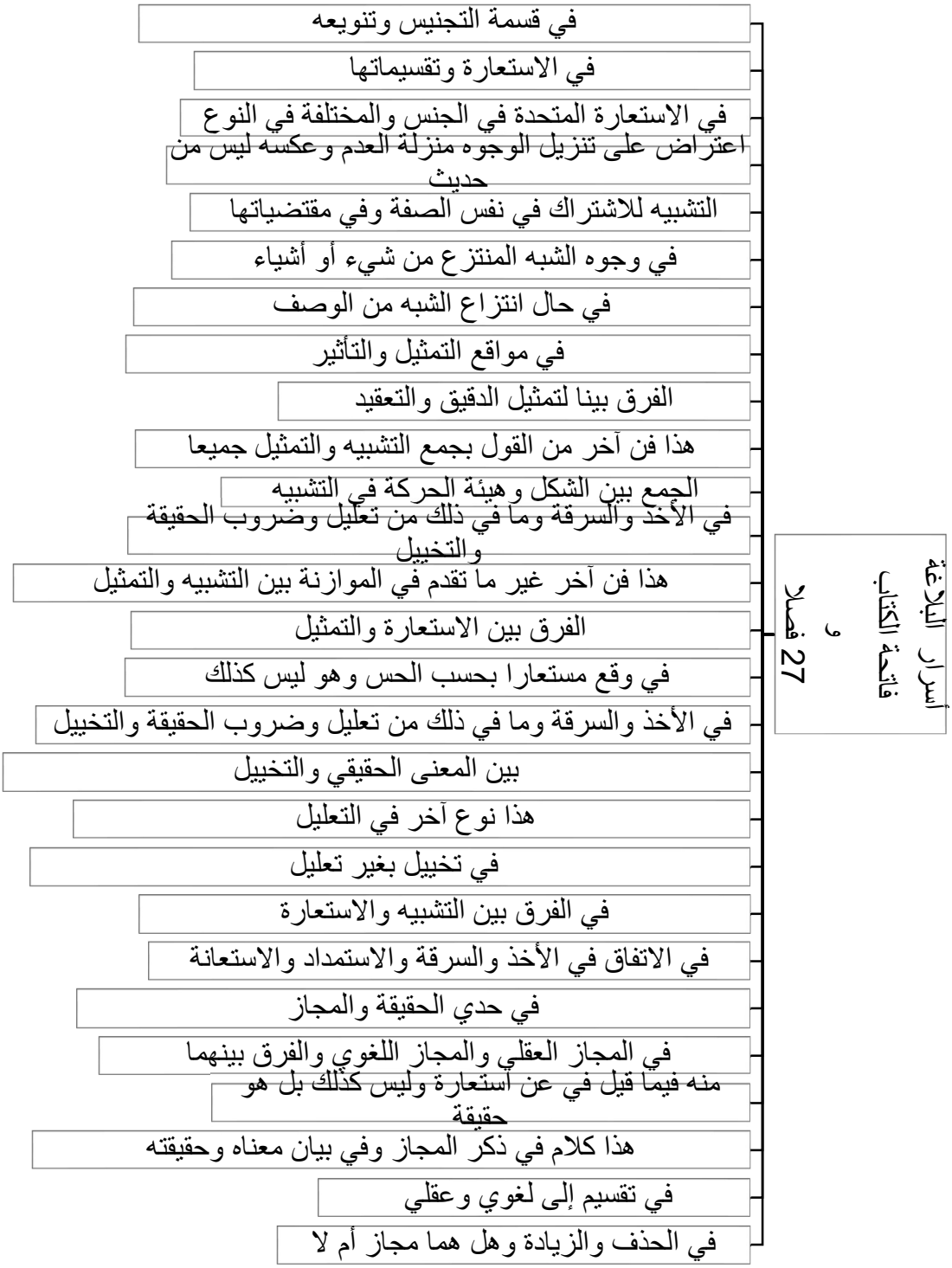

رسم توضيحي1

ومن هنا نفهم الهدف من تأليف الكتاب وهو الوقوف على أسرار البلاغة العربية ، ولهذا نراه ، و لكي يحكم حكما منصفا بعيدا عن التسرع و الخابط خبط عشواء ،يشارك القارئ في بناء فكرة الكتاب فيقول له : " راجع فكرتك، واشحذ بصيرتك، و أحسن التأمل ،و دع عنك التجوز في الرأي ،ثم انظر ،هل تجد لاستحسانهم و حمدهم و ثنائهم و مدحهم منصرفا إلا إلى استعارة وقعت موقعها، و أصابت غرضها ، أو حسن ترتيب تكامل

معه البيان ،حتى وصل المعنى إلى القلب ، مع وصول اللفظ إلى السمع ، و استقر في الفهم مع وقوع العبارة في الأذن"[67] .هذه خلاصة ما يمكن أن يعلق في ذهن القارئ حول سر البلاغة العربية.

ثم انتقل بنا في دلائل الإعجاز نقلة أخرى لتبيان المزية التي جعلت لغة القرآن تقهر القُوى والقدر، رغم أن العرب هو أهل البيان ونزل بلغتهم إلا أنهم وقفوا حيالها واجمين، " لم يدع في نفس بليغ منهم – ولو حك بيافوخه السماء – موضع طمع حتى خرست الألسن عن أن تدعي وتقول، وخذيت القروم فلم تملك أن تصول"[68] ووقفت متدبرة في أسرار إعجازه.

رغم أننا نعلم بأن القرآن نزل نزولا مفرقا حسب الأحداث إلا أنه كان يتحداهم أن يأتوا بمثله، فالنبي صلى الله عليه وسلم «كان هذا القرآن ينزل عليه منجَّمًا، وكان الذي نزل عليه يومئذ قليلا كما تعلم وكان هذا القليل من التنزيل هو برهانُه الفرد على نبوته، وإذن، فقليل ما أوحى إليه من آيات يومئذ، وهو على قلته، وقلَّةِ ما فيه من المعاني التي تنامت وتجمعت في القرآن جملة، كما نقرؤه اليوم منطوٍ على دليل مُسْتَبِينٍ قاهرٍ، يحكم له بأنَّه ليس من كلام البشر " [69]وهذا يزيد في عجزهم على أن يأتوا بمثله.

ويؤكد من جهة ثانية «على أنَّ تالِيهِ عليهم، وهو بشر مثلهم نبي من عند الله مرسَلٌ، فإذا صَحَّ هذا — وهو صحيح لا ريب فيه — ثبت ما قلناه أوَّلاً من أنَّ الآيات القليلة من القرآن، ثُمَّ الآيات الكثيرة، ثُمَّ القرآنُ كلُّه أيّ ذلك كان في تلاوته على سامعه من العرب الدليل الذي يطالبه بأن يقطعَ بأنَّ الكلامَ مُفارِقٌ لجنس كلام البشر، وذلك من وجه واحد، وهو وجه البيان والنظم."[70] الذي ركّز عليه عبد القاهر.

ومن أجل أن يبيّن المزية بنى عبد القاهر كتاب دلائل الإعجاز[71] وفق الخطة الآتية:

1. مقدمة.
2. المدخل إلى دلائل الإعجاز من إملاء عبد القاهر.
3. كتاب دلائل الإعجاز.
4. خطبة الكتاب.

---

[67] – عبد القاهر الجرجاني، اسرار البلاغة في علم البيانص 27.

[68] –دلائل الاعجاز ص 39.

[69] – تقديم كتاب : " الظاهرة القرآنية " لمالك بن نبي : بعنوان : (فصل في إعجاز القرآن) بقلم محمود شاكر ——ط: دار الفكر – دمشق – 1405. ص:27-28

[70] – تقديم كتاب : " الظاهرة القرآنية " لمالك بن نبي : بعنوان : (فصل في إعجاز القرآن) بقلم محمود شاكر – ص:27-28 .

[71] –عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح: محمود محمد شاكر، الطبعة الخامسة 2004م، الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة مصر.

5. في فضل العلم وعلم البيان وحديث الشعر روايته.

6. سبب تأليف الكتاب والحديث عن الفصاحة والبلاغة ودليل والإعجاز وأن النظم توخي معاني النحو والحديث عن فنون البلاغة من كناية واستعارة وقضية المزية.

7. الحديث عن التقديم والتأخير والاستفهام والنفي.

8. ودستور في التقديم والتأخير في الاستفهام والخبر.

9. قول في الحذف وضرب أمثلة في الباب.

10. فصل في القول على فروق في الخبر وكل ما تعلق بذلك مع ضرب أمثلة لذلك.

11. فصل في الذي خصوصا وفيه أسرار جمة.

12. فصل في فروق الحال وكل ما يتعلق بذلك.

13. فصل في القول في الفصل والوصل.

14. فصول شتى في أمر اللفظ والنظم والحديث أقوال العلماء في البلاغة وكلام الجاحظ.

15. فصل المزية للمعنى المقتبس من النظم.

16. فصل الكلام ضربان والمعنى ومعنى المعنى. قضايا ذلك بالتفصيل.

17. فصل في المزية تكون ويجب بها الفضل، إذا احتمل الكلام في ظاهره وجها آخر تنبو عن النفس مع شرح جملة من الآيات.

18. فصل هذا فصل في المجاز مع تفسير قوله تعالى: «إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب..."

19. فصل بيان دقيق في الكناية وإثبات الصفة عن طريقها، وأمثلة ذلك.

20. فصل في إن ومواقعها.

21. القصر والاختصاص وفصل في مسائل إنما مع الغرق بين ما وإلا.

22. فصل وبيان، وإزالة شبهة في شأن النظم والترتيب وهي الحكاية.

23. فصل بيان الجهة التي يختص منها الشعر بقائله هي النظم والترتيب وتوخي معاني النحو.

24. فصل تمام القول في النظم وأنه توخي معاني النحو، والدليل ذلك.

25. تحرير القول في إعجاز القرآن، وفي الفصاحة والبلاغة وإبطال الصرفة وبيان أن النظم والاستعارة هما مناط الإعجاز فصل في الفصاحة بين المعنى واللفظ وغيرها.

26. الكلام الفصيح قسمان: قسم مزيته في اللفظ قسم مزيته في النظم.

27. القسم الأول الكنية والاستعارة والتمثيل على حد الاستعارة

28. القسم الثاني وهو الذي تكون فصاحته في النظم والرد على المعتزلة في اللفظ.

29. فصل هذا تقرير يصلح لأن يحفظ للمناظرة (مناقشة الاحتذاء والابتداء والنسق في إعجاز القرآن ...)

30. خاتمة كتاب دلائل الإعجاز وتمام نسخة أسعد أفندي.

و يلاحظ القارئ لكتاب دلائل الإعجاز على أن عبد القاهر عمل جاهدا على أن القرآن مكان لا يعتريه التبديل و لا التحريف و لا التغيير لخصائص فيه حيث "تآلفت كلماته من حروف لو سقط واحد منها، أو أبدل بغيره ، أو أقحم معه آخر، لكان ذلك خللا بينا في نسق الوزن، وجرس النغمة، وفي حس السمع وذوق اللسان، وفي انسجام العبارة وبراعة المخرج، وتساند الحروف وإفضاء بعضها إلى بعض و لرأيت لذلك هجنة في السمع، كالذي تنكره من كل مرئي لم تقع اجزاؤه على ترتيبها ولم تتفق على طبقاتها، وخرج بعضها طولا، وخرج بعضها عرضا » [72]،ولكن القرآن يبهرك منظره و يدهشك بيانه و يأسرك منطقه.

و لذلك إذا تأملنا في أصواته و انسجامها لوصلنا إلى أن القرآن" غربال للأصوات، ومصفاة لها أخرجت منها ما ينبو عنه السمع وما يثقل على اللسان، والناظر في هذا الكتاب الكريم يجد بين دفتيه أمثلة ناصعة للنقاء الصوتي والسلاسة وتجسيد المعنى عن طريق الصوت بصورة متميزة، بل متفردة لا نجد لها مثيلا في أرقى مستويات الفصاحة اللغوية لهذه اللغة» [73].الكريمة المعطاء.

من هنا لا نعجب إذا كان العرب الأوائل و هم أولو فصاحة و بيان وقفوا حيارى مشدوهين أمام " مزايا ظهرت لهم في نظمه وخصائص صادفوها في سياق لفظه وبدائع راعتهم من مبادئ آيه ومقاطعها ومجاري ألفاظها

---

[72] – مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ط9، بيروت، دار الكتاب العربي، 1973، ص105.

[73] – محمد محمد داود، الإعجاز البياني في القرآن الكريم، في ضوء العلوم اللغوية الحديثة، ص24.

ومواقعها، وفي مضرب كلِّ مثلٍ ومساق كلِّ خبرٍ وصورة كلِّ عِظةٍ وتنبيه وإعلام وتذكيرٍ وترغيبٍ وترهيبٍ ، ومع كلِّ حجة وبرهان وصفة وتبيان،"[74] وجودوا انسجاما و اتساقا.

بل دققوا النظر فيه فبهرهم" أنَّهم تأمَّلوه سورة سورة ، وعُشْرا عشرا ،وآية آية ، فلم يجدوا في الجميع كلمة ينبو بها مكانها ولفظة ينكر شأنها أو يرى أن غيرها أصلح هناك أو أشبه أو أحرى وأخلق بل وجدوا اتساقا بهر العقول، وأعجز الجمهور ،ونظاما ،والتئاما، وإتقانا، وإحكاما »[(75)].زادهم تعلقا به و حبا له .

و لهذا كان دور عبد القاهر، و هو يدرس البيان القرآني، أن يركز على دراسة المزية التي جعلته يبهرهم في نظمه و تماسكه في سبكه بتبيان " أمر المعاني كيف تختلف، وتتفق، ومن أين تجتمع ، وتفترق ، وأفضّل أجناسَها وأنواعها " [76]،وكل مزاياها و خصائصها .

و بل وضح لنا ذلك صراحة في كتابه و هو يخدم لغة القرآن فهو يريد أن يبرز " خَاصَّها ومُشاعها، وأبيّنُ أحوالَها في كرم مَنْصبِها من العقل، وفى تمكُّنها في نِصابِه ، وقرب رحمها منه ، أو بعدها – حين تُنسب – عنه ، وكونها كالحليف الجاري مَجْرَى النَّسَب ، أو الزَّنِيمِ المُلْصَق بالقوم ، لا يقبلونه ، ولا يَمْتَعِضُونَ له ، ولا يَذُبُّونَ عنه » [(77)].فهنا تظهر لنا جليا دقة بحث عبد القاهر في بلاغة الخادمة للغة القرآن الكريم.

لا يكفي، كما يرى عبد القاهر، في علم الفصاحة" أن تنصب لها قياسا ما وأن تصفها وصفا مجملا، وتقول فيها قولا مرسلا ،بل لا تكون من معرفتها في شيء حتى تفصّل القول ،وتُحصِّل ،وتضع اليد على الخصائص التي تعرض في نظم الكلم ، وتعدَّها واحدة واحدة وتسميها شيئا شيئا وتكون معرفتك معرفة الصنع الحاذق الذي يعلم علم كل خيط من الأبريسم الذي في الديباج وكل قطعة من القطع المنجورة في الباب المقطع وكل آجرة من الآجر الذي في البناء البديع »[78] .و من هنا كان حكمك مبني على يقين و على دراسة ودراية.

و نجد أن عبد القاهر في كتابه تعمق في دراسة أسرار البلاغة القرآنية، و وقف على دقائقها، و نثر فنونها على بساط البحث وميز دور العطف في النظم حتى قال فيه : " اعلم أنه ما من علم من علوم البلاغة أنت

---

[74] – دلائل الإعجاز :39

[75] – دلائل الإعجاز :39

[76] – عبد القاهر : أسرار البلاغة – ص:26– ط: شاكر.

[77] – المرجع نفسه، نفس الصفحة.

[78] – دلائل الإعجاز– تح: شاكر ص 37

تقول فيه: إنه خفي غامض، ودقيق صعب، إلا وعلم هذا الباب أغمض وأخفى وأدق وأصعب"[79].ليؤكد لك أن علوم البلاغة ترتكز على حسن السبك و براعة الانسجام و روعة الاتساق.

ويخاطب القارئ المتمرس و يدعوه إلى التعمق اكثر قائلا: «ما أظن بك أيها القارئ لكتابنا إن كنت وفيّته حقّه من النظر، وتدبّرته حقّ التدبر، إلا أنك قد علمت علماً أبى أن يكون للشك فيه نصيب، وللتوقف نحوك مذهب أن ليس النظم شيئاً إلا توخي معاني النحو وأحكامه ووجوهه وفروقه فيما بين معاني الكلم ..."[80]

ثم يصل بنا في كتابه على أنه «لا بُدَّ لكلِّ كلام تستحسنه ولفظ تستجيده من أن يكون لاستحسانك ذلك جهة معلومة وعلة معقولة ،وأن يكون لنا إلى العبارة عن ذاك سبيل وعلى صحة ما ادعيناه من ذلك دليل ،وهو باب من العلم إذا أنت فتحته اطلعت منه على فوائد جليلة ومعان شريفة»[81]، لا تدرك إلا بالروية والتدبر.

وما يجدر بنا الإشارة إليه في نهاية المطاف على أن عبد القاهر تحدث عن البلاغة ببلاغة عالية و كأنه يضع القاعدة و يطبق لها في آن واحد لأنك إذا أعدت قراءة ما كتبه في هذا الفن ستجدك تصغي "إلى وقع أجراس حروفها وحركتها، وما أقامها عليه من التعادل الصوتي الذي يملأُ الأذن، فينفذ في القلب، فيشغله بما حمله إليه ذلك الإيقاع الفخم من المعاني ، وكيف أن عبد القاهر يوظف ذلك إيصالا لمراداته ومعانيه ومغازيه إلى قلبك، فيبعثه على أن يستغرق في لذة الفهم التي هي خصيصة الصفوة من أبناء آدم – عَلَيْهِ السَّلام ، فمن ذاق عرف ومن عرف عشق السعي في التي هي أهدى وأقوم"[82].

كل هذه الدراسة التي قام بها عبد القاهر في كتابيه خادما بذلك اللغة العربية التي نزل بها القرآن الكريم مبينا مزية لغة القرآن، وسر قهر القوى والقدر؛ جعل بذلك البلاغة تقف على قدميها كعلم مستقل واضح المعالم بين الأهداف يهتم بتبيان سر أن يصل الكلام إلى أذن السامع بدون مشقة أو معاناة.

ثم ما جاء بعده من دراسات بلاغية فإنما هي شارحة لما كتبه عبد القاهر في كتابيه:(أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز) أو مطبقة لما وضعه من قواعد مثلما فعل الزمخشري في تفسيره الكشاف.

---

[79]– عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني ، المصدر السابق، ص 158.

[80]– عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني: ، المصدر السابق، ص: 335– 336.

[81] – عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، المصدر السابق،ص 41.

[82] – محمود توفيق محمد سعد، العزفُ على أنوار الذِّكر معالم الطريق إلى فقه المعنى القرآنيّ في سياق السورة، ط1 1424هـ، القاهرة مصر، ص30.

مكتبة البحث

- ابن خلدون،المقدمة.دار الكتاب اللبناني،بيروت،ط/3 ،1983م.
- ابن طباطبا،عيار الشعر.
- حازم القرطاجني، منهاج البلغاء.
- حامد ابو حامد،الخطاب و القارئ،مركزالحضارة العربية ،ط2 القاهرة 2002
- الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، مختار الصحاح، دار الكتب، بيروت لبنان، ط1، 1994.
- رجاء عيد، البحث الأسلوبي معاصرة وتراث، دار المعارف، مصر، ط01/ 1993
- رونالد بارت، بلاغة الصورة،نقله الشرقاوي في البلاغة القديمة
- الزبيدي،تاج العروس من جواهر القاموس،تح.عبد الستار أحمد فراج،مطبعة حكومة الكويت،1965م.
- سعيد حسن بحيرى،علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات،مؤسسة المختار للنشر و التوزيع،2004م.
- سعيد يقطين، انفتاح النص الروائي(النص- السياق)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى سنة 1989م،ص:111؛
- شفرات النص: دراسة سيميولوجية في شعرية القصد والقصيد ، دار الآداب، بيروت، ط1/1999
- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، شرح وتعليق محمد التنجي، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، ط1، 2005.
- عبد السلام المسدي، الأسلوب والأسلوبية، الدار العربية للكتاب، ليبيا، ط2، 1982.
- الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، دار الفكر ، بيروت لبنان، 1983
- محمد عبد المطلب، البلاغة العربية قراءة أخرى،الشركة العالمية للنشر،ط1 /1997م
- د.محمد سالم الأمين الطلبة،الحجاج في البلاغة المعاصرة بحث في بلاغة النقد المعاصر،دار الكتاب الجديد المتحدة،ط1/2008م.
- محمد العمري،

1. البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول"، سنة 2005م بدار افريقيا الشرق.

2. البلاغة العربية الأصول وَالامتدادات"، الطبعة الأولى1998.

3. البلاغة العامة والبلاغات المعممة، ضمن مجلة فكر ونقد،العدد 20 .يناير 2000

- محمد الولي،"المدخل إلى بلاغة المحسنات". مجلة فكر ونقد. العدد 17.
- مها خيربك ناصر،النقد العربي البنيوي،مجلة الخطاب ،العدد الثاني :ماي 2007

المراجع الأجنبية:

- Rhétorique restreinte. G. Genette. Figure3. Edition du seuil. Paris 1972
- L'empire Rhétorique . Ch. Perelman. Librairie Philosophique. 1977